رمزية الجسد الأنثوي في رواية »زاهين :«بين خطاب الاستباحة وخطاب المقاومة

ا.م.د ناصر قاسمي رزوه

استاذ مشارك في جامعة طهران مجمع الفارابي)الكاتب المسؤول()

naserghasemi@ut.ac.ir

م.م مقداد حسين خضير

طالب دكتوراه جامعة طهران مجمع الفارابي /كلية الالهيات /قسم اللغة العربية

mekdadhussein1980@gmail.com

الكلمات المفتاحية: الجسد الأنثوي، خطاب الاستباحة، خطاب المقاومة، السبي والاغتصاب، رواية زاهين..

كيفية اقتباس البحث

روزه، ناصر قاسمي، مقداد حسين خضير، رمزية الجسد الأنثوي في رواية »زاهين :«بين خطاب الاستباحة وخطاب المقاومة ،مجلة مركز بابل للدراسات الانسانية، تشرين الثاني ٢٠٢٦، المجلد:١٦ ،العدد:١١ .

هذا البحث من نوع الوصول المفتوح مرخص بموجب رخصة المشاع الإبداعي لحقوق التأليف والنشر (Creative Commons Attribution) تتيح فقط للآخرين تحميل البحث ومشاركته مع الآخرين بشرط نَسب العمل الأصلي للمؤلف، ودون القيام بأي تعديل أو استخدامه لأغراض تجارية.

مفهرسة في Indexed
IASJ

مسجلة في Registered
ROAD

The Symbolism of the Female Body in Zaheen: Between the Discourse of Violation and the Discourse of Resistance

Dr. Naser Ghasemi Rezve
Assistant Professor, University of Tehran, Farabi Campus (Responsible Writer)
naserghasemi@ut.ac.ir
Miqdad Hussein Khudair
Assistant Lecturer and PhD Student, University of Tehran, Farabi Campus
mekdadhussein1980@gmail.com

Keywords : Female body, discourse of violation, discourse of resistance, captivity and rape, Zaheen.

How To Cite This Article
Rezve, Naser Ghasemi , Miqdad Hussein Khudair, The Symbolism of the Female Body in Zaheen: Between the Discourse of Violation and the Discourse of Resistance,Journal Of Babylon Center For Humanities Studies, November 2026,Volume:16,Issue 11.

This is an open access article under the CC BY-NC-ND license (http://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0/

This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International License.

Abstract

This study examines the symbolism of the female body in Zaheen, exploring its subjection to a discourse of violation and the forms through which agency and voice are reclaimed. It investigates the linguistic and narrative devices that construct objectification and resistance, alongside the interpretive limits of moving from representations of direct violence to symbolic meanings. The study adopts a descriptive-analytical method informed by cultural and feminist approaches. It selects passages depicting inspection, sale, coercion, refusal, escape, and testimony, examining their narrative contexts, speakers, perspectives, diction, imagery, and power relations through the concepts of objectification, agency, representation, and stigma. The study comprises two sections: the first addresses the female body and the discourse of violation; the second examines self-reclamation and the forms and limits of resistance. The

findings reveal that commodification operates through language and practice, with female characters participating in subjugation through inspection, surveillance, and threats. Figurative images serve different functions depending on the speaker and context, while some may reproduce stereotypes associating femininity with beauty and fragility. Responses to oppression range from internal rejection and verbal objection to escape attempts, requests for protection, and public testimony; pain alone does not necessarily constitute resistance. The novel's distinctive narrative construction combines a participating character's sensory perspective, third-person summaries of her testimony, and direct accounts of her confrontation with the perpetrator. These techniques expose and challenge violence without presuming the character's narrative autonomy throughout the text or her complete recovery.

المستخلص

يتناول البحث رمزية الجسد الأنثوي في رواية »زاهين«، ويبحث كيفية إخضاعه لخطاب الاستباحة، والأشكال التي تتخذها محاولات استعادة الإرادة والصوت .وتتمثل مشكلته في الكشف عن الوسائل اللغوية والسردية التي تبني التشييء والمقاومة، وحدود الانتقال من تصوير العنف المباشر إلى تأويل دلالاته الرمزية .ويعتمد المنهج الوصفي التحليلي، مستعينًا بالمقاربتين الثقافية والنسوية، من خلال اختيار شواهد الفحص والبيع والإكراه والرفض والهرب والشهادة، وتحليلها ضمن سياقها الحكائي، بتحديد المتكلم ووجهة النظر والألفاظ والصور وعلاقات القوة، وربطها بمفاهيم التشييء والفاعلية والتمثيل والوصم .وينتظم البحث في مبحثين؛ يتناول الأول الجسد الأنثوي وخطاب الاستباحة، ويعالج الثاني استعادة الذات وأشكال المقاومة وحدودها .وتوصل إلى أن التسليع يتشكل بتضافر اللغة والممارسة، وأن تنفيذ الإخضاع تشارك فيه شخصيات نسائية تتولى الفحص والمراقبة والتهديد .كما تتباين وظائف الصور البلاغية بحسب المتكلم والسياق، مع احتمال إعادة إنتاج بعضها قوالب تربط الأنوثة بالجمال والهشاشة .وتتفاوت المواجهة بين الرفض الداخلي والاعتراض اللفظي ومحاولة الهرب وطلب الحماية والشهادة العلنية، دون عدّ الألم مقاومةً تلقائيًا .وتبرز خصوصية البناء السردي في الجمع بين المنظور الحسي للشخصية المشاركة، وتلخيص شهادتها بصيغة الغائب، ونقل مواجهتها المباشرة للجاني؛ بما يتيح كشف العنف ومساءلته، دون افتراض استقلال صوت الشخصية في جميع المقاطع أو اكتمال تعافيها.

المقدمة

يشغل الجسد الأنثوي موقعًا دالًّا في الرواية التي تتناول الحروب والصراعات الطائفية؛ إذ تتقاطع في تمثيله قضايا الهوية والسلطة والذاكرة، وتظهر من خلاله آثار العنف في حياة الفرد والجماعة .ففي سياقات الأسر والتهجير والاستعباد، يغدو الاعتداء على المرأة وسيلة لفرض السيطرة عليها، وقطع صلاتها بعالمها السابق، وإخضاعها لتصورات تختزل وجودها في الجسد . وتكتسب دراسة هذا الحضور أهميتها من قدرة السرد على الكشف عن المعاني التي تمنحها سلطة المعتدي للجسد، وعن محاولات المرأة الاحتفاظ بإرادتها وصوتها وسط الظروف القسرية التي تواجهها.

وتقدم رواية »زاهين «تجربة سردية تتداخل فيها مأساة المرأة مع مأساة الجماعة التي تتعرض للعنف والإقصاء؛ فتجسد مشاهد الأسر والبيع والاعتداء صورًا متتابعة لمصادرة الحرية وتحويل الإنسان إلى موضوع للتملك .وتتسع دلالات هذه الممارسات لتشمل الاعتداء على الاسم والملبس والخصوصية والروابط الاجتماعية، بما يجعل الجسد مجالًا تتجلى فيه محاولة إعادة تشكيل هوية المرأة وفق إرادة الآسر .وفي مقابل ذلك، يتيح الحكي تتبع حضور الذات الرافضة لهذا الإخضاع، من خلال التساؤل والاعتراض ومحاولات الإفلات، ثم رواية التجربة والكشف عن المسؤولين عنها.

وتتبع مشكلة البحث من التوتر بين الصورة التي يفرضها خطاب المعتدي على المرأة، حين يعاملها بوصفها بضاعة أو جسدًا قابلًا للاستهلاك، والصورة التي تستعيد بها الشخصية إنسانيتها وإرادتها داخل السرد .ومن هنا يتحدد السؤال الرئيس للبحث في الآتي :كيف تتشكل رمزية الجسد الأنثوي في رواية »زاهين «بين خطاب الاستباحة وخطاب المقاومة؟ ويتفرع عنه التساؤل عن الألفاظ والصور والممارسات التي تسهم في تسليع الجسد وإخضاعه، وعن أثر السبي والاغتصاب في علاقة المرأة بذاتها وهويتها، وعن الدور الذي يؤديه الصوت السردي في تحويل التجربة من موضوع للهيمنة إلى شهادة تدينها.

وتتجلى أهمية البحث في إضاءة الصلة بين الاعتداء الجسدي والخطابات التي تبرره أو تخفف من حقيقته؛ إذ يكشف تحليل لغة البيع والخدمة والتملك كيف تُستخدم التسمية في حجب الإكراه وإضفاء مظهر مألوف على الاستعباد .كما تتصل أهميته بقراءة الآثار النفسية والاجتماعية للاعتداء كما يمثلها النص، ولا سيما اضطراب الإحساس بالأمان، وتصدع العلاقة بالجسد، والخوف من الوصم .وتتيح هذه القراءة فهم لغة الشخصية ضمن شروط القهر التي تحيط بها، مع إبقاء مسؤولية الجريمة على المعتدي ومن يسهم في شرعنة أفعاله.

ويهدف البحث إلى تحليل التحولات الدلالية للجسد الأنثوي في الرواية، والكشف عن آليات اختزاله في موضوع للتداول والمنفعة، وتتبع الوسائل التي تستعيد بها الشخصية حضورها بوصفها ذاتًا لها ذاكرة ورغبة وحق في الاختيار .كما يسعى إلى بيان وظيفة الصور البلاغية وضمير المتكلم والمفارقات اللغوية في تمثيل الألم والمقاومة، وإيضاح العلاقة بين التجربة الفردية والسياق الجمعي الذي تتصل به.

ولتحقيق هذه الأهداف، يعتمد البحث المنهج الوصفي التحليلي، مستفيدًا من المقاربتين الثقافية والنسوية في دراسة الشواهد الروائية، مع ربط الألفاظ والصور بسياقاتها السردية وعلاقات القوة التي تكشفها .وقد انتظم البحث في مبحثين؛ خُصص الأول لدراسة رمزية الجسد الأنثوي بين الاستباحة واستعادة الذات، وتناول الثاني السبي والاغتصاب وما يتصل بهما من ممارسات التسليع والتهديد والإكراه، وصولًا إلى خاتمة تعرض أبرز النتائج.

الدراسات السابقة:

١ .دراسة اللامي وآخرين)٢٠٢٣ :(تمثلات الجسد الأنثوي في روايات عبدالرضا صالح محمد في ضوء النقد الثقافي.

هدفت الدراسة إلى الكشف عن تمثلات الجسد الأنثوي ودلالاته الثقافية والاجتماعية في مجموعة من روايات عبدالرضا صالح محمد، ومنها رواية »سبايا دولة الخرافة .«واعتمدت مقاربة نسوية في ضوء النقد الثقافي، للكشف عن الأنساق المضمرة التي تحكم تصوير المرأة وعلاقتها بالسلطة الذكورية .وأظهرت الدراسة تعدد تمثلات الجسد الأنثوي، ومنها الجسد المقدّس والمدنّس والمقهور والمعطوب والرغبوي، وكشفت عن ارتباط بعض هذه التمثلات بممارسات السبي والعنف والإخضاع، بما يحوّل الجسد إلى مجال لممارسة الهيمنة ومصادرة حرية المرأة .

وتلتقي هذه الدراسة مع البحث الحالي في تناول الجسد الأنثوي بوصفه بنية ثقافية تتجلى فيها علاقات القوة والهيمنة، وتفيد منه في تحليل خطاب الاستباحة وتمثلاته .ويختلف البحث الحالي عنها في اقتصاره على رواية »زاهين«، وتركيزه على الدلالات الرمزية للجسد والعلاقة بين خطاب استباحته وخطاب مقاومته..

٢ .مقالة أبو النجا)٢٠٢٣ :(مواطنات ثم سبايا ثم ناجيات :الجسد الأيزيدي

تناولت شيرين أبو النجا في هذه المقالة البحثية، المنشورة لدى مؤسسة مؤمنون بلا حدود بتاريخ ٦ أيلول ٢٠٢٣، إشكالية الجسد الإيزيدي في سياق العنف الذي تعرّضت له النساء على يد تنظيم داعش، وناقشت العلاقة بين انتهاك الجسد وإخضاع الأقلية ومصادرة صوتها .واستندت إلى مناقشة تصورات السلطة والجسد والمقاومة، مع تحليل شهادات الناجيات .وأكدت أن النساء

لا يُختزلن في موقع الضحية، إذ تتيح الشهادة ورواية التجربة الكشف عن العنف ومواجهته، وتمنح الناجيات حضورًا في الذاكرة العامة .

وتتقاطع هذه المقالة مع البحث الحالي في تناول الجسد الأنثوي بين الانتهاك والمقاومة، وفي النظر إلى استعادة الصوت بوصفها وسيلة لمواجهة الإخضاع .ويمكن الإفادة منها في تفسير العلاقة بين الذاكرة والشهادة واستعادة الذات في »زاهين«، بينما يختلف البحث الحالي عنها في اشتغاله على نص روائي وتحليل وسائل تشكيل هذه العلاقة سرديًا ورمزيًا.

.3دراسة أبو رطيبة ودهقاني)٢٠٢٥ :(تمثيلات العنف الجندري بين الهيمنة والمقاومة :مقاربة نسوية في رواية أولاد الناس.

هدفت دراسة هاني إسماعيل أبو رطيبة وسمانة دهقاني إلى الكشف عن تمثيلات العنف الجندري في رواية »أولاد الناس «لريم بسيوني، وبيان العلاقة بين الجسد الأنثوي والهوية والسلطة . واعتمدت الدراسة مقاربة تحليلية تستند إلى النقد النسوي ونظرية الصدمة ومنظور ما بعد الاستعمار .وأظهرت أن الجسد الأنثوي يتحول إلى فضاء للهيمنة والاستعمار الرمزي، وإلى استعارة سياسية للوطن المستباح، كما كشفت عن دور العنف في إنتاج الصمت والخضوع، مقابل ظهور أشكال من الوعي والمقاومة الصامتة في اللغة والسرد.

وتتفق هذه الدراسة مع البحث الحالي في تناول الجسد الأنثوي بين الهيمنة والمقاومة، وفي الاهتمام بالدلالات الرمزية التي تتجاوز وجوده المادي .ويختلف البحث الحالي عنها في تطبيقه على رواية »زاهين«، وتركيزه على خطاب استباحة الجسد ووسائل مقاومته في سياق السبي والعنف الطائفي.

تمهيد :تحديد المفاهيم لغةً واصطلاحًا

تتطلب دراسة رمزية الجسد الأنثوي في رواية »زاهين «تحديد المفاهيم التي تتأسس عليها القراءة، ولا سيما الجسد والرمز والاستباحة والمقاومة؛ إذ تسهم هذه المفاهيم في تفسير العلاقة بين تمثيل المرأة وممارسات السلطة، والكشف عن انتقال الشخصية من التعرض للقهر إلى محاولة استعادة صوتها وإرادتها.

أولًا :الجسد لغةً واصطلاحًا

الجسد لغةً :يعرّف ابن منظور الجسد بأنه »جسم الإنسان«، ويذكر أن الجسد هو البدن، وأن التجسد مشتق منه كما يُشتق التجسم من الجسم)ابن منظور، 1994، .(120ويتفق معه الرازي في ربط الجسد بالبدن)الرازي، 1999، .(58

مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية ٢٠٢٦ المجلد ١٦/ العدد ١١

الجسد اصطلاحًا: يوضح جميل صليبا، في مادة »الجسم«، أنه جوهر ممتد يقبل الأبعاد الثلاثة، وله شكل ووضع ويشغل مكانًا، ثم يذكر إطلاق الجسم على الجسد في مقابل الروح .ويقدم هذا التصور تحديدًا فلسفيًّا للبعد المادي الذي يقوم عليه المفهوم)صليبا، 1982، (402وينطلق البحث من هذا التحديد لقراءة الجسد الأنثوي داخل السياق السردي، حيث يكتسب دلالات تتصل بخصوصية المرأة وذاكرتها وانتمائها .ويُقصد به إجرائيًّا حضور جسد المرأة في الرواية بوصفه جزءًا من تجربتها الإنسانية، تظهر من خلاله آثار العنف ومحاولات الاحتفاظ بالإرادة واستعادة الحرية.

ثانيًا :الرمز لغةً واصطلاحًا

الرمز لغةً: يدل الرمز عند الرازي على الإشارة والإيماء بالشفتين والحاجب ويتصل بهذا المعنى التعبير عن المقصود بعلامة توحي به، من دون اللجوء إلى التصريح اللفظي المباشر)الرازي، 1999، (128.

الرمز اصطلاحًا: يربط مجدي وهبة وكامل المهندس الرمز بكائن حي أو شيء محسوس يُتعارف على دلالته على معنى مجرد، كالحمامة وغصن الزيتون في الدلالة على السلام .وتقوم رمزيته على ما يحمله من إيحاءات تتجاوز وجوده المحسوس، وتتأثر بالسياق والتصورات المرتبطة به)وهبة والمهندس، 1984)، (181.

وفي ضوء ذلك، تُفهم رمزية الجسد الأنثوي إجرائيًّا بوصفها الدلالات التي يمنحها النص للجسد من خلال اللغة والصور والأحداث .فقد يمثل الجسد المجروح أثر الاعتداء في الشخصية، وقد يتصل كذلك بما أصاب جماعتها من عنف، بينما تشير حركته نحو الهرب إلى استمرار الرغبة في الحرية.

ثالثًا :الاستباحة لغةً ودلالتها في البحث

الاستباحة لغةً: يذكر الرازي في مادة »بوح «أن الإباحة تتصل بإحلال الشيء، وأن المباح يقابل المحظور، كما يورد الاستئصال ضمن دلالات الاستباحة .وتكشف هذه المعاني عن اتصال اللفظ برفع المنع، وعن استعماله أيضًا في سياق الإزالة والاستئصال)الرازي، 1999، (41.

الاستباحة إجرائيًّا: يُقصد بها في هذا البحث إخضاع المرأة والتعامل مع جسدها بوصفه متاحًا للتملك والتداول والاعتداء، مع مصادرة حقها في القبول والرفض .أما خطاب الاستباحة فيشمل الأقوال والتسميات والتصورات التي تسوّغ هذا الإخضاع أو تمنحه مشروعية مزعومة، كما يظهر في لغة البيع والتسعير والتهديد .وهذا التحديد إجرائي مستخلص من موضوع البحث وشواهده الروائية؛ لذلك لا يُنسب إلى المعجم بوصفه تعريفًا اصطلاحيًّا منقولًا

رابعًا :المقاومة لغةً واصطلاحًا

المقاومـة لغـةً: المقاومـة مصـدر الفعل قـاوم، وتـدور دلالتـه حـول المواجهـة والمضـادة والمنـع؛ فتُستخدم في مواجهة العدو والظلم، وفي دفع التأثير الذي يعوق الحركة أو يسبب الضرر)عمر، 2008، (1875.

المقاومة في المجال الأدبي: يوسع غالي شكري مفهوم أدب المقاومة ليشمل الصراع الإنساني في مواجهة الظروف التي تهدد الوجود وتدفع إلى الاستسلام .ويرى أن للأدب المقاوم بعدًا إنسانيًّا يتجاوز الأطر القومية الضيقة، وأن قيمته تتصل بمواجهة الضعف والانكسار، وبقدرته على جمع البشر حول التجربة الإنسانية المشتركة)شكري، 2024، (11–9.

التشييء: يُقصد به معاملة الإنسان بوصفه شيئًا قابلًا للاستخدام والتملك والتبادل، مع تجاهل استقلاله وإرادته ومشاعره .وتحدد نوسباوم مظاهر له، منها الأداتية، وإنكار الاستقلالية، والتملك، وعدم الاعتداد بالخبرة الذاتية للشخص .(Nussbaum, 1995, p. 257)ويُوظَّف المفهوم في تحليل »زاهين «للكشف عن اختزال النساء في أجساد قابلة للفحص والتسعير والبيع، وبيان كيفية إقصاء إرادتهن في خطاب المستعبِدين وممارساتهم.

الفاعلية: تعني القدرة على الفعل التي تتوسطها الشروط الاجتماعية والثقافية؛ فهي قدرة تتشكل داخل علاقات السلطة والقيود المحيطة بالإنسان .(Ahearn, 2001, p. 112)ويعتمد البحث هذا المفهوم لتحديد المبادرات التي تتخذها الشخصية، مثل الاعتراض ومحاولة الهرب وطلب المساعدة، مع بيان حدود تأثيرها .ولا يُعدّ مجرد الشعور بالألم أو الخوف دليلًا كافيًا على المقاومة؛ بل تُدرس صلة الاستجابة بموقف .الشخصية وإمكان تدخلها في وضعها

التمثيل: يشير إلى إنتاج المعنى بواسطة اللغة والعلامات؛ إذ تتشكل دلالة الأشخاص والأحداث من خلال طرائق تقديمهم ووصفهم وتنظيم صورتهم .(Hall, 1997, pp. 15–16)ويُوظَّف المفهوم لتحليل بناء صورة المرأة في الرواية، بمقارنة تعريف المعتدي لها بالطريقة التي تقدم بها نفسها، وفحص دور الساردة والصور البلاغية ووجهة النظر في توجيه فهم القارئ لتجربتها .

us.sagepub.com

الوصم: يحيل إلى إسناد صفة إلى الفرد تُنقص اعتباره الاجتماعي وتحدّ من قبوله لدى الآخرين . ويؤكد غوفمان أن أثر الصفة يتحدد بعلاقتها بالمعايير والتصورات الاجتماعية، وليس بكونها عيبًا ملازمًا للشخص .(Goffman, 1963, p. 3)ويُستخدم المفهوم في تحليل الرواية لدراسة ربط الاعتداء على المرأة بالعار أو فقدان الشرف، وتحديد مصدر هذا الحكم، وكيفية تبنّيه أو مساءلته داخل السرد، بما يكشف احتمال امتداد الإيذاء إلى علاقة الناجية بجماعتها.

ويتعامل البحث مع الجسد الأنثوي في رواية »زاهين «ضمن ثلاثة مستويات مترابطة :يتمثل المستوى الأول في الجسد بوصفه موضوعًا للعنف داخل الحكاية، كما في مشاهد الفحص والبيع والاعتداء، حيث تُحلَّل الممارسات وما تكشفه من سلب الحرية والإرادة .ويتصل المستوى الثاني بالصور البلاغية التي تصوغ تجربة الجسد، مثل تشبيهه بالوردة أو الغصن أو العصفور؛ وتُحدَّد دلالة كل صورة بحسب سياقها، وهوية المتكلم، وطبيعة العلاقة بين طرفيها .أما المستوى الثالث فيتمثل في الدلالة الرمزية للجسد، حين يربط البناء السردي ما تتعرض له الشخصية باستهداف هوية الجماعة وذاكرتها وانتمائها.

ولا يفترض البحث أن كل اعتداء على الجسد يرمز تلقائيًا إلى مأساة الجماعة، أو أن كل تشبيه يمنحه وظيفة رمزية؛ بل يستند هذا التأويل إلى قرائن نصية، منها اقتران الاعتداء بالتصنيف الديني، وتكرار التجربة لدى شخصيات متعددة، وربط انتهاك الأجساد بتدمير الأمكنة والمقدسات والروابط الأسرية .وعندما تتضافر هذه القرائن، يمكن قراءة الجسد بوصفه حاملًا لدلالة تتجاوز التجربة الفردية، مع الحفاظ على خصوصية الشخصية وعدم اختزال معاناتها في تمثيل الجماعة وحدها.

يتناول البحث الخوف والذاكرة واضطراب العلاقة بالجسد بوصفها خبرات يشكّلها السرد من خلال اللغة ووجهة النظر وتنظيم الزمن، دون تحويلها إلى تشخيصات سريرية أو تعميمها على النساء جميعًا كما يربط استنتاجاته بشأن استعادة الهوية والروابط الروحية ومواجهة الوصم بشواهد محددة من الرواية .

خامساً :التعريف بالروائية

حنان السيد الهواري روائية وقاصة مصرية، من مواليد محافظة البحيرة، حاصلة على ليسانس الآداب في اللغة العربية ودبلوم في التربية، وتعمل مدرّسة .صدر لها رواية »حبل من مسد « والمجموعة القصصية »الفراشات لا تسكن القبور «عام 2019، ورواية» راجست «عن دار المؤسسة للنشر والتوزيع عام 2021، ورواية »زاهين «عن دار إشراقة عام 2022، ورواية »كش مات «عن الدار نفسها عام .2023كما ذكرت أن روايتها »منى أفندي «كانت قيد الطبع استعدادًا لمعرض القاهرة الدولي للكتاب عام 2025، ولها مجموعة قصصية منشورة إلكترونيًا بعنوان »عندما غاب الشيطان«، ومشاركة في كتاب »رسائلهن) «الهواري، تواصل شخصي عبر تطبيق فيسبوك، 1أيار (2026.

وتتمحور رواية »زاهين «حول تجربة فتاة إيزيدية تواجه الأسر والعنف، وتكشف من خلال معاناتها ما أصاب الأسرة والجماعة من تفكك وفقد .وتظهر الشخصية بين موقع الضحية

ومحاولات المقاومة؛ إذ تسعى إلى الهرب وطلب المساعدة والاحتفاظ بصوتها، بينما يظل أثر التجربة حاضرًا بعد الابتعاد عن الخطر.

ويبرز في البناء السردي صوت الساردة المشاركة، الذي يقرّب القارئ من تجربتها عبر التفاصيل الجسدية والحسية .ويستعيد الحكي ذكريات الحياة الأسرية والطفولة والعلاقة العاطفية، ليكشف الفارق بين الألفة السابقة وواقع الأسر، وما أحدثه العنف في علاقات الشخصية وعالمها .كما تتغير دلالة المكان تبعًا للتجربة؛ فتتحول القرية إلى فضاء للتهديد، والمدرسة إلى موضع للاحتجاز، وتغدو الأبواب والأسوار حواجز تحدّ من الحركة وإمكان الهرب.

وتتجه الدلالة الإنسانية للرواية إلى إدانة الاستباحة والإكراه، مع إبراز المساعدة التي يقدمها أشخاص من خارج انتماء البطلة الديني .وبذلك تتيح التمييز بين هوية الإنسان وسلوكه، وتربط إمكان استعادة الحياة بالاعتراف والرعاية وحفظ الذاكرة) .الهواري، (2021.

المبحث الأول :رمزية الجسد الأنثوي بين الاستباحة واستعادة الذات

يمثل الجسد الأنثوي مجالًا تتقاطع فيه الهوية والذاكرة وعلاقات السلطة، وتتجسد من خلاله آثار العنف ومحاولات مقاومته .لذلك تتطلب دراسة رمزيته النظر إليه ضمن سياقاته التاريخية والاجتماعية والثقافية؛ فهو كيان متعدد الدلالات، يستوجب مقاربة تكشف التصورات التي تتحكم في قيمته وموقعه، وتربط حضوره بتجربة المرأة وحقها في التصرف به)الزاهي ، : 1998 104).

ولا تقتصر دلالات الأنوثة على الخصائص البيولوجية، بل تتشكل أيضًا من خلال المعايير الثقافية التي تحدد صورة المرأة وتفرض عليها أدوارًا وصفات بعينها .وفي ضوء عنوان »رمزية الجسد الأنثوي بين الاستباحة واستعادة الذات«، تتيح هذه التفرقة الكشف عن كيفية تحويل الاختلاف الجسدي إلى أساس للهيمنة، حين تُختزل المرأة في جسد يخضع لتقييم الآخرين، ويُحجب استقلالها بوصفها ذاتًا لها إرادة وصوت وتاريخ)الغذامي (59 : 2000)

وتتجلى الاستباحة في اختزال المرأة إلى موضوع للرغبة أو جسد مباح للعنف، فتتحول في ممارسات السبي والاستعباد إلى موضوع للتملك والتداول، وتُنتزع منها القدرة على تقرير مصيرها . وفي مقابل ذلك، تبدأ استعادة الذات حين ترفض الشخصية هذا الاختزال، وتتمسك باسمها وذاكرتها، وتروي ما وقع عليها وتدين فاعليه .وبذلك تتشكل رمزية الجسد الأنثوي في التوتر بين سلطة تسعى إلى إخضاعه وإرادة تحاول استرداد حريته، فتغدو الكتابة مجالًا لإظهار آثار الاعتداء وإعادة الاعتبار إلى المرأة بوصفها ذاتًا مستقلة)العلوي ، (21–20 : 2006

وفي رواية »زاهين«، يظهر الجسد حاملًا للألم الجمعي منذ القول» :النساء تولول، والعيون تدور في محاجرها، والأيدي تضرب الصدور وتكتم الأنفاس بين لهاث وخوف) «الهواري، 2021: 10).تتوزع الصدمة على الصوت والعين واليد والتنفس، فتتحول استجابات الجسد إلى لغة تكشف ما يصعب احتواؤه في الكلام .ويمنح جمع النساء هذه الصورة بعدًا مشتركًا، يتصل بما يرد من »حزنًا على بناتها اللاتي صرن سبايا) «الهواري، 2021: 19)

تحفظ لفظة »بناتها «صلة النساء بأسرهن وجماعتهن، فتستحضر وجودهن داخل عالم من القرابة والذاكرة والانتماء .في المقابل، تشير عبارة »صرن سبايا «إلى وضع قسري يحاول إحلال سلطة التملك محل تلك الروابط، وإعادة تعريف المرأة وفق إرادة المعتدي .ويمكن إضاءة هذا التحول بالاستناد إلى معالجة مصطفى حجازي لوضعية المرأة وما تتعرض له من استلاب وتبخيس داخل علاقات القهر)حجازي، 2005، .(64

وبذلك تكشف المقابلة بين العبارتين أن استباحة الجسد الأنثوي تستهدف أيضًا استقلال المرأة وصلاتها الاجتماعية، بينما يُبقي وصف »بناتها «انتماءها حاضرًا في الحكي، ويقاوم اختزال هويتها في الوضع الذي فرضه الأسر عليها.

وتتكثف لغة التسليع في وصف فحص الأسيرات» :خبيرة بالبضاعة التي بين يديها الغليظتين، تتمعن في لحومنا البكر) «الهواري، .(19 :2021تستحضر لفظة »البضاعة «منطق التملك والتداول، بينما تختزل »لحومنا «حضور النساء في مادية أجسادهن، وتدخل صفة »البكر « ضمن معايير التقويم التي تفرضها منظومة الاسترقاق .ويكشف المشهد أيضًا مشاركة امرأة في ممارسة الفحص، بما يبين أن سلطة الإخضاع تُمارَس عبر وسيطات يسهمن في تنفيذها.

ويربط ضمير الجماعة في »لحومنا «الساردة بالأسيرات اللواتي تتقاسم معهن التجربة، لكنه لا يثبت وحده أنهن يتكلمن جميعًا أو يمارسن المقاومة؛ فالساردة هي التي تصوغ وصف معاناتهن من موقعها المشارك .كما ينبغي التمييز بين لحظة الفحص التي تخضع فيها النساء لسلطة الفاحصة، ولحظة روايتها التي تصبح فيها الواقعة موضوعًا للوصف والتقويم .وتبرز الدلالة الناقدة في الجمع بين معجم التجارة، المتمثل في »البضاعة«، ووصف اليدين بـ»الغليظتين«، بما يوجّه الانتباه إلى قسوة المعاملة واختزال الإنسان في جسده .وعليه، يتيح المقطع قراءة الحكي بوصفه كشفًا للتشييء، دون اعتباره دليلًا كافيًا على مقاومة الشخصية أثناء الفحص.

ويتصل بذلك قول الجاني» :البنت البكر كالفاكهة الطازجة وأنا أعشق رائحتها) «الهواري، 2021: 60)، إذ يصوغ المرأة من منظور رغبته، ويجعل جسدها موضوعًا للاستهلاك .ويختلف

موقع هذه الصورة عن الوصف السابق؛ فهي تصدر عن المعتدي وتكشف منطقه، بينما يعرض وصف الفحص أثر ذلك المنطق في تجربة الساردة والأسيرات.

وتقابل زاهين صورة الجسد في خطاب المعتدي بتمثيل ذاتها في قولها» :وكيف لوردة مثلي أن تكون بين ذراعين هذا الغصن الجاف الذي لم تترك به السنون سوى الأشواك؟) «!الهواري، 2021: 58).يتضمن الاستفهام استنكارًا للعلاقة المفروضة، ويقيم تقابلًا بين الوردة والغصن الجاف ذي الأشواك، بما يصوّر إحساس الشخصية بالتنافر والتهديد .ولا تُختزل دلالة الوردة في الرقة والحياة؛ فربط الأنوثة بالنضارة والهشاشة يستدعي مساءلة احتمال إعادة إنتاج صورة نمطية تحصر المرأة في جمال جسدها .ولذلك تُقرأ الصورة بوصفها تعبيرًا عن إدراك زاهين لتجربتها، مع إبقاء حقها في الحرية والكرامة مستقلًا عن الجمال والشباب.

وتتخذ علاقة السيطرة تمثيلًا حركيًا في تشبيه نفسها» :كعصفور بين يدي طفل نزق، كلما طفق بجناحيه محاولًا الإفلات ازداد تشبثه به، وازدادت رغبته في تضييق القيد عليه) «الهواري، 2021: 62). تتحدد دلالة العصفور بمحاولة الإفلات، لا بمجرد ضعفه؛ إذ تقابل حركة الجناحين قبضةٌ تزداد إحكامًا، فتُظهر الصورة تفاوت القدرة بين الأسيرة والمعتدي .كما يكشف وصف الطفل بالنزق تحكمًا لا يعتد بألم الكائن الواقع بين يديه أو بإرادته .وتتيح مقاربة فريد الزاهي للعلاقة بين الجسد والصورة والتصور والخيال النظر إلى التشبيه بوصفه عنصرًا يشارك في تشكيل دلالة الجسد، بدل اعتباره زينة لغوية منفصلة عن التجربة)الزاهي، 2024: 22).

وتختلف وظيفة الصورتين تبعًا لذلك؛ فالوردة والغصن يصوّران التنافر والإحساس بالتهديد، بينما يجسّد العصفور محاولة التحرر وحدودها تحت الإكراه .وفي مقابل لغة السوق التي تقدم المرأة موضوعًا للاستهلاك، تمنح الساردة تجربتها صياغة تكشف رفض الإخضاع والرغبة في الإفلات منه .غير أن الحركة داخل التشبيه لا تثبت وحدها وقوع فعل مقاوم محدد أو تحقق النجاة، وإنما تمثل الصراع كما تدركه الشخصية وترويه.

ويتصل التحكم بالجسد بمصادرة العلامات التي تحفظ صلته بالهوية .ففي ذاكرة العيد تقول زاهين» :يمتلكني الفرح والفخر بهذا الزي الذي يمثل دنياي) «الهواري، 2021: 28).يختصر الزي عالم الأسرة والقرية والطقوس، ولهذا يكتسب قولها» :أحرق ملابسنا القديمة في قصعة كبيرة من الحديد) «الهواري، 2021: 45) دلالة تتجاوز تغيير المظهر .فإتلاف الملابس يمس ما يصل الأسيرة بعالمها السابق، ويجعل اختيار صورتها خاضعًا لإرادة الآخرين .ثم تظهر آثار الصدمة في قولها» :أقطع شعري، وأمزق ما تطوله يداي من ملابس) «الهواري، 2021: 61)، يتحول ما ارتبط سابقًا بالزينة والاعتزاز إلى موضع غضب واضطراب، فيكشف السرد امتداد أثر

الاعتداء إلى علاقة المرأة بجسدها وصورتها عن ذاتها .ويمكن مقاربة هذا التحول في ضوء تحليل مصطفى حجازي لأثر القهر والتبخيس في إحساس الإنسان بقيمته ونظرته إلى نفسه)حجازي، .(85 :2005فالجسد الذي كان مجالًا للتعبير عن الذات يصبح في وعي الشخصية حاملًا لذكرى الإكراه، فتضطرب دلالاته الوجدانية .ولا يعني هذا الاضطراب أن جسدها فقد قيمته، بل يكشف الضرر الذي أحدثه المعتدي في قدرتها على الشعور بالأمان والاعتزاز به . وبذلك تبرز استعادة الذات بوصفها محاولة لإعادة بناء علاقة بالجسد تستند إلى إرادتها وكرامتها.

وتتضح مصادرة الخصوصية في مشهد الاغتسال القسري» :ندفع للداخل، نغطي صدورنا بشعورنا الطويلة، ومكامننا بأيدينا، يهرق فوق رؤوسنا الماء، ويأمرننا بالاغتسال) «الهواري، .(45 :2021يجمع المشهد بين الدفع والأمر ومحاولات الاحتماء، فيغدو الاغتسال إجراءً يجري تحت الرقابة، وتُقيَّد فيه حرية الأسيرات في التصرف بأجسادهن .وتحاول النساء ستر أجسادهن بالشعر والأيدي، بينما تراقبهن المشرفات بنظرات تصفها الساردة بقولها» :وكأنَّه فرز آخر«، فتربط ما تشاهده باستمرار تقويم الأجساد، مع بقاء هذا الربط تأويلًا صادرًا عن موقعها داخل التجربة)الهواري، .(45 :2021ويكشف حضور المشرفات مشاركة شخصيات نسائية في تنفيذ سلطة الإخضاع من خلال المراقبة والأوامر والتهديد

ويتصل الاغتسال بإحراق الملابس وفرض بدائل لم تختارها الأسيرات، إذ تعلن المرأة الآمرة» :لقد أحرقنا ملابسكنَّ«، وتقرن رفض الملابس المفروضة بالتهديد بالتعري أمام الجنود أو القتل . وتكشف عبارة »لم نجد بدًّا من لبس تلك الملابس الشفافة «انتزاع حرية الاختيار؛ فإحراق الملابس السابقة يزيل البديل المتاح، ويجعل الامتثال نتيجة للإكراه)الهواري، .(45 :2021 وتتحدد وظيفة الإحراق هنا في التحكم باللباس وتعطيل إمكان الرفض، دون أن يكفي السياق لإثبات دلالة تطهيرية أو رمزية تتصل بمحو الهوية.

وتصف الساردة انتهاء الإجراء بقولها» :أنهينا طقس الاغتسال) «الهواري، .(45 :2021 وتنتمي تسمية »الطقس «إلى لغتها في رواية التجربة، فلا تثبت أن المعتدين منحوا الفعل مشروعية دينية أو طقسية .ومن ثم تتبع دلالة الاستباحة من تضافر الرقابة وإحراق الملابس وفرض البدائل والتهديد بالعقاب، بما يحوّل شأنًا جسديًا خاصًا إلى مجال تتحكم فيه سلطة الآخرين، ويكشف مصادرة إرادة الأسيرات في الاغتسال والستر واختيار اللباس تكشف هذه المشاهد أن منظومة الاستعباد تعتمد على شخصيات نسائية تشارك في تنفيذ الإخضاع؛ فالمرأة الفاحصة تسهم في تقويم أجساد الأسيرات، بينما تمارس المشرفة على الاغتسال سلطة المراقبة

والأمر والتهديد .وتؤدي هذه الشخصيات دور الوسيط في استمرار السيطرة على الجسد واللباس، بما يمنع اختزال العلاقة السلطوية في مواجهة مباشرة بين الرجل والمرأة .غير أن تحديد موقعهن في تنفيذ العنف لا يثبت استقلالهن عن المنظومة أو يفسر دوافعهن، وإنما يكشف توزيع وظائف الإخضاع بين شخصيات تتفاوت مواقعها وقدرتها على الفعل .وتكشف لغة الساردة عن أثر الوصم في فهم الاعتداء حين تقول» :كرهًا وغصبًا وعارًا على يد غريب بدلًا من أن أنزفه حبًا وشرفًا وأنا بين يدي من أحب) «الهواري، .(61 :2021يثبت التقابل بين الإكراه والحب الفرق بين الاعتداء والعلاقة المختارة، بينما تظهر مفردتا »العار «و»الشرف «ثقل التصورات الاجتماعية في وعي الشخصية .ويتكرر هذا الأثر في قولها عن غرفة العرس» :قالت إنها ستجهزها لعرسي، وها أنا سأزف إلى العار) «!الهواري، .(56 :2021نقلب رمزية المكان من وعد بعلاقة تختارها المرأة إلى خوف من انتهاك مفروض، وتكثف استعارة »الزفاف «ألم هذا الانقلاب، إذ تستحضر معنى الارتباط في سياق يسلبها حق القبول والرفض .ويمكن قراءة هذا التحول في ضوء تصور حسن بحراوي للمكان الروائي بوصفه متصلًا بالشخصيات والأحداث، تتشكل دلالته عبر العلاقات التي يقيمها معها)بحراوي، .(85 :1990فالمكان يكتسب معناه المخيف من تجربة الإكراه التي تهدد الشخصية، ويصبح امتدادًا للسيطرة على جسدها ومصيرها . وبذلك تكشف المفارقة بين الزفاف والاعتداء استباحةً تتخفى خلف تسمية توحي بالألفة، بينما يحفظ وضوح الإكراه مسؤولية المعتدي، ويجعل لغة الضحية تعبيرًا عن الخوف من الجريمة وتبعاتها .ويصل أثر الانتهاك إلى الشعور بتفكك وحدة الذات في القول» :ثم مضى لألمم جسدي المنتهك، وأغطيه بدموعي تمسح على وجهي) «الهواري، .(61 :2021يصور الفعل »ألمم « الجسد كأنه أجزاء تفرقت، فتتداخل الإصابة المادية مع فقدان التماسك الداخلي .وتصبح الدموع غطاءً يعبر عن محاولة الاحتماء في غياب الحماية .ويتأكد الانفصال بين استمرار الحياة والإحساس بها في قولها» :ها أنا أحيا بمنظور البشر، ولكني مت منذ تركت كوجو) «الهواري، .(61 :2021تحمل العبارة شعورًا بأن العالم الذي منح وجودها معنى قد انهار، وتكشف أن التعافي يتطلب ما يتجاوز البقاء الجسدي .ومع ذلك، يستعيد الجسد دوره الفاعل في محاولة الهرب؛ فالقدمان المجروحتان تحملان أثر الطريق الذي تقطعه الشخصية نحو الحرية)الهواري، .(73 :2021ويكتسب الفعل الجسدي دلالة على المبادرة بقدر ارتباطه بمحاولة زاهين الخروج من الوضع المفروض عليها .وتنتقل المواجهة إلى مجال الشهادة في القول» :وقفت زاهين تروي حكاية وطن يقع تحت وطأة الانقسامات والتعنت ضد الأقليات والطوائف المختلفة دينيًا وسياسيًا «)الهواري، .(248 :2021يثبت هذا المقطع انتقال الشخصية إلى موقع راوية الحكاية داخل

الحدث، غير أن صوتها يصل إلى القارئ بوساطة صوت سردي يتحدث عنها بصيغة الغائب . فالفعل »تروي «يسند إليها ممارسة الحكي، بينما يقدم ما يليه تلخيصًا لمضمونه، دون نقل كلماتها مباشرة .ومن ثم تظل صياغة الصلة بين تجربتها ومأساة الوطن واقعة ضمن تنظيم الصوت السردي الذي يعرض شهادتها؛ فلا يمكن نسبتها إلى خطاب زاهين نفسه اعتمادًا على هذا الشاهد وحده .وتتمثل دلالته في إظهار تحقق فعل الشهادة، أما استقلال صوت الشخصية وكيفية تفسيرها لتجربتها فيحتاجان إلى تحليل المقاطع التي تنقل كلامها مباشرة، ومقارنتها بتعليقات الصوت السردي وتلخيصاته .تيتشكل الجسد الأنثوي، بذلك، في رواية زاهين داخل صراع على الإرادة والتسمية والانتماء، ويستخدم خطاب الاستباحة مفردات الغنيمة والبضاعة والجارية والهدية لإلغاء استقلال المرأة، بينما يكشف السرد آثار هذا الإلغاء في علاقتها بنفسها وبجماعتها .وتتخذ استعادة الذات صورًا متعددة، منها تأكيد الاسم، ورفض الوصم، والاحتماء بالروابط الإنسانية والروحية، ومحاولة الهرب، وتحويل التجربة إلى شهادة، وتحفظ هذه المسارات قيمة المرأة وحقها في الاعتراف، وتبين أن الجسد الذي حمل أثر العنف يظل جسد ذات لها صوت وذاكرة وإرادة، وأن مسؤولية الاعتداء تبقى على من ارتكبه وشرعنه وأسهم في استمراره.

المبحث الثاني :السبي والاغتصاب في رواية زاهين

تقتضي دراسة السبي والاغتصاب في النظر في الخلفية الاجتماعية والثقافية التي تتيح إخضاع المرأة واستباحة جسدها .فقد ارتبط العنف ضد المرأة، في سياقات تاريخية متعددة، بتصورات تعدّها من ممتلكات الرجل، وتمنحه سلطة التحكم في حياتها وقراراتها وأسهمت بعض الأعراف والتقاليد والتفسيرات الدينية في إضفاء المشروعية على هذه السلطة، أو في تبرير السكوت عن ممارساتها؛ مما أتاح استمرار العنف تحت غطاء المحافظة على النظام الأسري والاجتماعي)اماني ، .(1 : 2010وتفيد هذه الخلفية في قراءة خطاب الاستباحة داخل الرواية، ولا سيما حين تتحول المرأة، بفعل السبي، إلى موضوع للتملك والتداول، ويُنتزع منها حق تقرير مصيرها . وتفسر المقاربة الاجتماعية النسوية استمرار العنف بالموافقة الضمنية التي يمنحها المجتمع للرجل الممارس له؛ إذ تعزز بعض التصورات الثقافية الهيمنة الذكورية، وتربط الأنوثة بالدونية والخضوع، فيصبح استخدام القوة وسيلة لتثبيت علاقة غير متكافئة بين الطرفين)اماني ، 2010 .(50 :وفي هذا السياق، تكشف سيمون دي بوفوار عن اختزال المرأة في وظائفها الجسدية، وعن الدلالات الانتقاصية التي تُلحق بالأنوثة في مقابل الاعتزاز بالذكورة)سيمون دي بوفوار، .(14 : 2008ويساعد هذا التصور على تحليل الكيفية التي يقدم بها خطاب المعتدي المرأة بوصفها جسدًا متاحًا للاستحواذ، متجاهلًا إرادتها وهويتها وعلاقاتها الإنسانية.

تُظهر ممارسات تزويج القاصرات أن تعرّض الفتاة للأذى قد يحدث داخل علاقة تدعمها الأعراف الاجتماعية؛ إذ تسهم التصورات النمطية المتعلقة بأدوار الجنسين وسن الزواج في استمرار هذه الممارسة .وتؤكد اليونيسف أن الفتيات اللواتي يتزوجن قبل سن الثامنة عشرة أكثر عرضة للعنف المنزلي، وأن الزواج المبكر قد يؤدي إلى عزلتهن الاجتماعية والإضرار بسلامتهن البدنية والنفسية، فضلًا عن زيادة مخاطر مضاعفات الحمل والولادة)اليونيسف، .(2003 وتكمن صلة هذه الشواهد بموضوع المطلب في إبراز الإكراه بوصفه أساسًا لفهم الاعتداء؛ فالسبي يسلب المرأة حريتها ويضعها تحت سلطة الآسر، بينما يمثل الاغتصاب انتهاكًا لإرادتها وحرمة جسدها .وقد يتداخل الفعلان حين يُستخدم الأسر لفرض الاعتداء الجنسي وإدامته . وانطلاقًا من ذلك، تتجه قراءة السبي والاغتصاب في الرواية إلى تحليل الألفاظ والممارسات التي يحوّل بها المعتدي المرأة إلى موضوع للتملك، ويبرر إخضاعها من خلال التصنيف الديني والطائفي .كما تتناول أثر الاعتداء في وعي الضحية وعلاقتها بجسدها وذاتها وجماعتها، وكيفية استعادة صوتها داخل الحكاية .وتكتسب هذه القراءة أهميتها من الكشف عن الصلة بين العنف الجسدي وخطاب شرعنته، وعن قدرة السرد على حفظ تجربة الضحية وإظهار مسؤولية المعتدي، ومساءلة التصورات التي تنقل تبعات الجريمة إلى المرأة الواقعة تحت الإكراه. ويظهر تسويق الاستعباد بعبارة مخففة» :وقالت له :يعرضن كخادمات ومعك الأسعار) «الهواري، :2021 .(23تخفي »خادمات «حقيقة التملك، بينما يكشف ذكر الأسعار أن الأمر يتعلق ببيع البشر . وتتبع الدلالة من التفاوت بين الاسم الذي يمنح الممارسة مظهرًا مألوفًا والفعل الذي يسلب المرأة حريتها .ويستعيد صوت الساردة حقيقة ما ينتظرها في السؤال» :أهو الموت كامن خارج هذا الباب؟! أم عبودية للجسد واغتصاب للروح؟) «الهواري، .(44 :2021يجمع السؤال بين تهديد الحياة وسلب الإرادة، ويمنح الاعتداء أثرًا يطال الإحساس بالذات. وتواجه زاهين منطق السوق بسؤالها» :متى كان الإنسان سلعة تباع وتشترى؟) «!الهواري، .(51 :2021تستعيد كلمة »الإنسان «قيمة الشخصية وكرامتها في مواجهة اختزالها في سلعة قابلة للبيع .ويمكن قراءة هذا الاعتراض في ضوء المبدأ الكانطي الذي يوجب معاملة الإنسان غايةً في ذاته، وألّا يُختزل في مجرد وسيلة)كانط، .(174 :2002وتصبح صيغة السؤال مساءلةً للمشروعية التي يدّعيها المعتدون، فتحتفظ الشخصية بقدرتها على رفض معنى التملك، رغم عجزها عن منع البيع .ويتخذ الإخضاع شكلًا يقوم على التهديد بعنف أشد» :تذكرت ما قالته المرأة المتشحة بالسواد :لو عدت مرة أخرى إلى هنا ستكونين لقمة سائغة للجنود، ولن تكوني امرأة لرجل واحد، بل سيتناولك كل من ليست له جارية أو امرأة، وهم كثر .فأطيعي سيدك، وحافظي على مكانك) «الهواري،

.(58 :2021تقدّم العبارة الخضوع لرجل واحد بوصفه وضعًا ينبغي الحفاظ عليه، وتوظّف التهديد بالاعتداء الجماعي لانتزاع الطاعة من الأسيرة .وتختزل صورتا »لقمة سائغة « و»سيتناولك «المرأة في جسد معدّ للاستهلاك، بما يناقض الاعتراف بالإنسان غايةً في ذاته، ويحيله إلى مجرد وسيلة لإشباع رغبات الآخرين)كانط، .(179 :2002ويكشف السرد بذلك كيف يتحول الخوف من اعتداء أشد إلى أداة لإدامة الاستعباد .وتصف الساردة وقوع الاعتداء بقولها» :لم تهزه دموعي، ولم يبعده ذلك العرق الذي ينز من جسدي .لم يتركني حتى اخترقني وآدم عذريتي، اغتصبني بكل ما لديه من قوة وأنا أتمرغ تحته كحمى تلتهم جسدي) «الهواري، .(60 :2021تكشف الأفعال استمرار المعتدي رغم ظهور ألم الضحية، فتُبرز تجاهله معاناتها وإرادتها .ويتيح ضمير المتكلم تمثيل الاعتداء من داخل التجربة، بينما تمنح صورة الحمى الألم امتدادًا يشمل الجسد كله .وتتصل هذه الدلالة بما تناولته دراسة حسين والدوري عن صدمة الاغتصاب وتعقّد التعافي تحت ضغط البنى الأبوية)حسين والدوري، .(1880 :2026ويحوّل الحكي التجربة إلى شهادة تُسمّي الجريمة وتُبقي الإكراه أساسًا لفهمها .ويستمر العنف في القول: »ظننت أن الأمر سينتهي بعد مرة أو اثنتين، ولكنه في كل مرة يعتليني يزداد شراسة ورغبةً فيّ «)الهواري، .(62 :2021تكشف »في كل مرة «تكرار الاعتداء، ويقابل التصاعد في الشراسة توقع الشخصية أن ينتهي .ويتحول الزمن داخل الأسر إلى انتظار لا يمنح الأمان، لأن تكرر الممارسة يعمق شعور المعتدي بالتملك ويزيد عجز الضحية عن توقع حد لها .وتبلغ الاستباحة صورتها الجماعية في القول» :تناوب عليّ الجنود بالاغتصاب، ولم يتركوني إلا بعد أن أصبت بالإغماء) «الهواري، .(63 :2021يثبت فعل »تناوب «تعدد المعتدين، وتكشف النهاية أن توقفهم ارتبط بفقدان الوعي .وتظهر المرأة داخل منظومة تسلبها سلطة القرار بشأن جسدها، ويستعيد صوتها في الحكي القدرة على كشف ما فعلته تلك المنظومة بها .ومن خلال هذا النقل، تصبح الشهادة مواجهة للغة التي قدمت الاستعباد حقًا مزعومًا .يتسع تمثيل السبي من خلال الشهادات التي يوردها النص، ومنها شهادة بيرلا، البالغة إحدى وعشرين سنة، من قرية كوجو بمنطقة سنجار، التي تستعيد ظروف أسرها ونقلها مع فتيات أخريات إلى سوريا، فتقول» :كل يوم يأتون ليأخذوا ٤ إلى ٥ فتيات، ثم يرحلوهن ليبيعوهن في السوق) «الهواري، .(222 :2021 تجعل عبارة »كل يوم «نقل الفتيات وبيعهن ممارسة متكررة، بينما يكشف التحديد العددي انتظام استغلالهن داخل منظومة الاسترقاق .ويصدر القول هنا عن شخصية تروي ما شهدته وعاشته، فيكتسب دلالته من موقعها داخل تجربة الأسر .وترد شهادة ربا، البالغة ثمانية وعشرين عامًا، من كوجو بسنجار، في سياق استعادتها محاولة الهرب مع تسع فتيات وما تعرضن له من ضرب

بعد القبض عليهن، ثم انتقالها إلى رجل اشتراها وهددها حين رفضت الزواج منه، فتقول : »وعندما رفضت قال لي إنه سوف يعاقبني وأشار بيده على الطاولة، وكان عليها سكين ومسدس وحبل) «الهواري، .(223 :2021يربط هذا القول رفض الشخصية بالتهديد، وتكشف الأدوات المعروضة تحويل احتمال الإيذاء إلى وسيلة لانتزاع الطاعة .وتتحدد مقاومة ربا في محاولة الهرب ورفض الزواج المفروض، أما موقف السرد فيُدرس من خلال طريقة تقديم شهادتها وإظهار الإكراه الكامن وراء تسمية الزواج .وبذلك تُنسب الأقوال إلى صاحبتَي التجربة، مع التمييز بين كلامهما وبين الصوت السردي الذي يقدّم شهادتيهما داخل الرواية .يظهر الرفض الداخلي حين تستعيد زاهين اكتشافها حقيقة السوق، فتصف »تساؤلات تطرق عقلي«، وتنتهي إلى السؤال : »متى كان الإنسان سلعة تباع وتشترى؟) «!الهواري، .(51 :2021يحدد السياق موقع السؤال داخل وعي الشخصية، ولذلك يُقرأ بوصفه اعتراضًا داخليًا على مبدأ التملك، ولا يثبت مواجهة لفظية مع المشترين .وتتمثل فاعليته في احتفاظ زاهين بمعيار تقوّم به ما يقع عليها؛ فهي تدرك أنها تُعامل كسلعة، لكنها ترفض الاعتراف بشرعية هذه المعاملة .ومع ذلك، لا يمنحها هذا الرفض قدرة مباشرة على إيقاف البيع، فتظل المسافة قائمة بين استقلال موقفها الداخلي ومحدودية قدرتها على تغيير الواقع .أما الاعتراض اللفظي فيتضح في مشهد المواجهة الإعلامية مع أبي أيمن، كما يقدمه التحليل، من خلال القول» :هذه ليست أنا ...لقد مت هناك حيث قتلني أنت ومسخوك) «الهواري، .(250 :2021ينقل ضمير المخاطب الاعتراض إلى مواجهة الجاني وتحميله مسؤولية الضرر .وتمنح الشخصية نفسها حق وصف ما أحدثه الاعتداء في حياتها، بدل ترك تعريف التجربة لمن مارس العنف .وتتأكد الإدانة في السؤال» :هل يقبل إنسان بهذا؟ ...فأي نوع من البشر أنتم؟) «الهواري، .(251 :2021فالمتكلمة تسائل المعتدين وتطعن في المعايير التي يبررون بها أفعالهم .وتتمثل فاعليتها هنا في الاتهام والمساءلة، دون أن يثبت القول وحده تحقق المحاسبة أو زوال آثار الاعتداء .وتنتقل المقاومة إلى المبادرة العملية بمحاولة الهرب في قول زاهين» :خرجت على أطراف أصابعي، ونزلت إلى بهو البيت، فتحت الباب وخرجت) «الهواري، .(63 :2021تتتابع الأفعال لتحدد خطوات تنفذها الشخصية مستفيدةً من غياب الرقابة، فتتجاوز رفض وضعها إلى محاولة تغييره .غير أن السرد يبين حدود هذه المبادرة حين تقول» :وجدت يدًا غليظة تقبض على قدمي، ثم تجرني للأسفل) «الهواري، .(63 :2021 تقابل حركة الخروج قوةٌ تعيدها إلى الأسر؛ ومن ثم يثبت المشهد فعل المقاومة وإخفاق هذه المحاولة معًا .أما الإصابات والتعذيب اللاحقان، فيمثلان أثر العقاب الذي فرضه المعتدون، ولا يُعدّ الألم الناتج عنهما فعلًا مقاومًا بذاته .ويتخذ طلب الحماية صورة أخرى من المبادرة حين

تحاول زاهين القول عند وصولها إلى بيت سيروان» :أرجوكم ساعدوني، أنقذوني) «الهواري، 2021: 77). تتحدد دلالة الفعل في توجهها إلى الآخرين واستدعاء مساعدتهم للخروج من الخطر .أما امتزاج الكلمات بالبكاء، فيكشف إنهاكها أثناء الطلب؛ فلا يكون البكاء وحده دليل المقاومة، وإنما يرتبط المعنى بقدرتها على التعبير عن حاجتها والسعي إلى الحماية .وتظهر حدود فاعليتها في اعتماد استمرار الخلاص على استجابة الآخرين ورعايتهم .وتبلغ المواجهة مجال الشهادة العلنية في القول» :وقفت زاهين تروي حكاية وطن يقع تحت وطأة الانقسامات والتعنت ضد الأقليات والطوائف المختلفة دينيًا وسياسيًا) «الهواري، 2021: 248). يثبت هذا الشاهد وقوع فعل الشهادة، لكنه يعرضه بصيغة الغائب ومن خلال تلخيص الصوت السردي لمضمونه .لذلك يُستكمل تحليله بالأقوال المباشرة في مشهد المواجهة اللاحق، حيث تتكلم زاهين وتوجّه الاتهام بنفسها .ويتيح الجمع بين المستويين التمييز بين إعلان السرد أنها روت حكايتها، وبين الكلمات التي ينقلها عنها فعلًا .وتتمثل المقاومة في إخراج التجربة إلى المجال العام ومساءلة الجاني، مع بقاء عرض الشهادة وترتيبها خاضعين لتنظيم السرد.

الخاتمة

خلص البحث، من خلال تحليل خطاب الاستباحة وأشكال مواجهته في رواية »زاهين«، إلى النتائج الآتية:

١.يتشكل تسليع الجسد الأنثوي عبر اللغة والممارسة معًا؛ فلفظة »البضاعة «في مشهد فحص الأسيرات)ص(19، وتشبيه البكر بـ»الفاكهة الطازجة «في كلام المعتدي)ص(60، يكشفان اختزال المرأة في قيمة استعمالية تتجاهل إرادتها .ويقتضي ذلك التمييز بين لغة المعتدي والوصف الذي تنقل به الساردة تجربتها.

٢.تتوزع وظائف الإخضاع بين شخصيات متعددة، منها نساء يتولين الفحص والمراقبة والتهديد . ويكشف اقتران الاغتسال بإحراق الملابس وفرض بدائل تحت التهديد)ص (45مصادرة الاختيار في شؤون الجسد واللباس .أما تسمية »طقس الاغتسال«، فتنتمي إلى كلام الساردة، ولا تثبت بذاتها وجود تبرير ديني صادر عن المعتدين.

٣.تختلف وظائف الصور البلاغية بحسب سياقها وصاحبها؛ فصورة الوردة والغصن الجاف)ص (58تصوغ إحساس زاهين بالتنافر والتهديد، بينما يجسّد العصفور المحاول للإفلات)ص (62الرغبة في التحرر وتشديد السيطرة عليها .ومع ذلك، تظل صور النضارة والهشاشة قابلة للمساءلة لاحتمال حصر الأنوثة في الجمال والضعف، ولا تمنح الجسد دلالة جماعية رمزية تلقائيًا.

٤.تتفاوت مستويات المواجهة بين الرفض الداخلي للتملك في تساؤلات زاهين)ص(51، ومحاولة الهرب التي تُحبط بالقوة)ص(63، وطلب الحماية من الآخرين)ص .(77وتثبت هذه المواقف مبادرات محددة، مع بيان حدود فاعليتها تحت الإكراه؛ أما الألم والرجفة فلا يكفيان وحدهما لإثبات المقاومة.

٥.يبرز البناء السردي التجربة من خلال التفاصيل الحسية ووجهة نظر الشخصية المشاركة، كما في استهلال الصرخات)ص (1ومشهد الفحص)ص .(19ويتيح ذلك تمثيل الخوف والانتهاك من داخل التجربة، دون تحويل الوصف الروائي إلى تشخيص سريري، أو تعميمه على النساء جميعًا.

٦.تتشكل الشهادة عبر تداخل الكلام المباشر والوساطة السردية؛ فالمقطع الذي يصف وقوف زاهين لرواية حكايتها)ص (248يثبت حدث الشهادة، بينما تكشف مواجهتها اللفظية للجاني)ص (251–250مضمون اعتراضها واتهامها .وتتمثل خصوصية هذا البناء في الانتقال من سرد المعاناة إلى عرض مساءلة علنية، مع بقاء تنظيم الأصوات خاضعًا للسرد، ودون افتراض اكتمال التعافي أو تحقق المحاسبة.

المصادر

١.ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن علي الأنصاري الرويفعي الإفريقي) .١٩٩٤ .(لسان العرب)ط٣ (بيروت :دار صادر.

٢.أبو رحمة، أماني) .٢٠١٠ .(العنف ضد المرأة من منظور نظرية التعلق :مقاربة نفسية .صحيفة المثقف.

٣.بحراوي، حسن .(1990) .بنية الشكل الروائي :الفضاء، الزمن، الشخصية)ط .(1 .بيروت :المركز الثقافي العربي .

٤.حجازي، مصطفى .(2005) .التخلف الاجتماعي :مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور .ط9، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء–بيروت .

٥.حسين، زينب صلاح الدين، والدوري، حمدي حميد يوسف) .٢٠٢٦ .(لا دواء :دراسة نفسية لاستجابة الشخصيات النسائية الثلاث لصدمة الاغتصاب في رواية دعاء الكروان لطه حسين .مجلة بحوث اللغات، ١٠)٣(، ١٠٧٣–١٠٨٨.

٦.دي بوفوار، سيمون .(2008) .الجنس الآخر .ترجمة ندى حداد، مراجعة وتدقيق إيمان المغربي، الأهلية للنشر والتوزيع، عمّان .

٧.الرازي، زين الدين محمد بن أبي بكر .(1999) .مختار الصحاح .تحقيق يوسف الشيخ محمد، ط5، المكتبة العصرية–الدار النموذجية، بيروت–صيدا.

٨.الزاهي، فريد» .(1998) .الجسد والاستراتيجية المظهرية في الثقافة العربية الإسلامية .«مجلة الكرمل، العدد 54

٩.الزاهي، فريد .(2024) .الجسد والصورة والمقدس في الإسلام .مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة.

١٠.شكري، غالي .(2024) .أدب المقاومة .مؤسسة هنداوي .
١١.صليبا، جميل .(1982) .المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية واللاتينية .ج1، دار الكتاب اللبناني، بيروت.
١٢.العلوي، هشام .(2006) .الجسد والمعنى :قراءات في السيرة الروائية المغربية .ط1، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء .
١٣.عمر، أحمد مختار، بمساعدة فريق عمل .(2008) .معجم اللغة العربية المعاصرة .ط1، ج3، عالم الكتب، القاهرة.
١٤.الغذامي، عبد الله محمد .(2000) .ثقافة الوهم :مقاربات حول المرأة والجسد واللغة)ط .(2 .المركز الثقافي العربي.
١٥.كانط، إيمانويل .(2002) .تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق .ترجمة عبد الغفار مكاوي، مراجعة عبد الرحمن بدوي، ط1، منشورات الجمل، كولونيا، ألمانيا.
١٦.منظمة الأمم المتحدة للطفولة)اليونيسف) .(٢٠٢٣، تموز .(زواج الأطفال .الموقع الرسمي لليونيسف.
١٧.الهواري، حنان .(2021) .زاهين .دار إشراقة، مصر
١٨.وهبة، مجدي، والمهندس، كامل .(1984) .معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب .ط2، مكتبة لبنان، بيروت.

المصادر الأجنبية :

19.Nussbaum, Martha C. (1995). “Objectification.” Philosophy & Public Affairs, 24(4), 249–291. https://doi.org/10.1111/j.1088-4963.1995.tb00032.x
20.Ahearn, Laura M. (2001). “Language and Agency.” Annual Review of Anthropology, 30, 109–137. https://doi.org/10.1146/annurev.anthro.30.1.109
21.Hall, Stuart. (1997). “The Work of Representation.” In Stuart Hall (Ed.), Representation: Cultural Representations and Signifying Practices (pp. 13–74). London: SAGE, in association with The Open University.
22.Goffman, Erving. (1963). Stigma: Notes on the Management of Spoiled Identity. Englewood Cliffs, NJ: Prentice-Hall.

References

1. Ibn Manzur, Abu al-Fadl Jamal al-Din Muhammad ibn Mukarram ibn Ali al-Ansari al-Ruwayfi’i al-Afriqi. (1994). *Lisan al-Arab* (3rd ed.). Beirut: Dar Sader.
2. Abu Rahma, Amani. (2010). Violence Against Women from the Perspective of Attachment Theory: A Psychological Approach. *Al-Muthaqaf* Journal.
3. Bahrawi, Hassan. (1990). *The Structure of the Novelistic Form: Space, Time, and Character* (1st ed.). Beirut: Arab Cultural Center.
4. Hijazi, Mustafa. (2005). *Social Underdevelopment: An Introduction to the Psychology of the Oppressed Human* (9th ed.). Casablanca–Beirut: Arab Cultural Center.
5. Hussein, Zeinab Salah al-Din, & al-Douri, Hamdi Hamid Yusuf. (2026). No Cure: A Psychological Study of the Responses of Three Female Characters to the Trauma of Rape in Taha Hussein’s Novel *The Call of the Curlew* (*Du’a al-Karawan*). *Journal of Language Research*, 10(3), 1073–1088.

6. de Beauvoir, Simone. (2008). *The Second Sex*. Translated by Nada Haddad; reviewed and edited by Iman al-Maghribi. Amman: Al-Ahliya Publishing and Distribution.
7. Al-Razi, Zayn al-Din Muhammad ibn Abi Bakr. (1999). *Mukhtar al-Sihah*. Edited by Yusuf al-Shaykh Muhammad (5th ed.). Beirut–Sidon: Al-Maktaba al-Asriyya – Dar al-Namudhajiyya.
8. Al-Zahi, Farid. (1998). "The Body and the Strategy of Appearance in Arab-Islamic Culture." *Al-Karmel* Journal, Issue 54.
9. Al-Zahi, Farid. (2024). The Body, the Image, and the Sacred in Islam. Hindawi Foundation, United Kingdom.
10. Shukri, Ghali. (2024). Literature of Resistance. Hindawi Foundation.
11. Saliba, Jamil. (1982). Philosophical Dictionary (in Arabic, French, English, and Latin). Vol. 1, Dar Al-Kitab Al-Lubnani, Beirut.
12. Al-Alawi, Hisham. (2006). The Body and Meaning: Readings in the Moroccan Fictional Biography. 1st ed., Al-Madaris Publishing and Distribution, Casablanca.
13. Omar, Ahmed Mukhtar, with the assistance of a research team. (2008). Dictionary of Contemporary Arabic Language. 1st ed., Vol. 3, Alam Al-Kutub, Cairo.
14. Al-Ghathami, Abdullah Muhammad. (2000). The Culture of Illusion: Approaches to Women, the Body, and Language (2nd ed.). Arab Cultural Center.
15. Kant, Immanuel. (2002). Groundwork of the Metaphysics of Morals. Translated by Abdel Ghaffar Makkawi, reviewed by Abd al-Rahman Badawi, 1st ed., Al-Jamal Publications, Cologne, Germany.
16. United Nations Children's Fund (UNICEF). (July 2023). Child Marriage. Official UNICEF website.
17. Al-Hawari, Hanan. (2021). Zahin. Dar Ishraqa, Egypt.
18. Wahba, Magdi, and Al-Muhandis, Kamil. (1984). Dictionary of Arabic Terms in Language and Literature. 2nd ed., Librairie du Liban, Beirut.